الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب اطون ربّاط اليسوعي (تابع)

في ان الاناجيل المقدّسة لم يعترها تحريف (تابع الفصل الثاني)

اثبتنا في ما سلف انّ الاناجيل المقدّسة بريئة من كل تحريف على الاقلّ منذ اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع الى ايامنا. ذلك امر لا يمكن انكارهُ الّا اذا اراد الانسان ان ينكر ظهور الشمس في رائعة النهار. فمرادنا الآن ان نرتقي في التاريخ الى ما وراء ذلك الزمن فنصل الى العهد الاوّل من النصرانيّة والى زمن تأليف الاناجيل فنرى أُحرّفت في اول انتشارها او في الحقبة اللاحقة بذلك

اقرار العلماء ﴿ واول برهان نتخذهُ كحجّة راهنة لاثبات هذه القضيّة هو اقرار العلماء الملحدين والمعطّلين في ايامنا على اختلاف نزعاتهم. فاننا لا نعرف منهم ولا واحدًا ادّعى اننا حرّفنا الانجيل او بدلنا آياته بآيات اخرى او زدنا فيها او انقصنا منها. فلو كان لهم سبيل لانكار براءة الاناجيل من التحريف لما ضربوا صفحًا عن هذا الاعتراض وهم الساعون كل السعي حول الصخرة الانجيلية رجاء أن يزعزعوها فينثروا بتحطيمها لواء كفرهم. فتراهم يلتقطون كل ما تصل اليه يدهم الاثيمة و إن تافهًا وحقيرًا فيجعلونهُ سلاحًا ضدّ الله ودينهِ ويموّهون على السذّج فيغرونهم باسم العلم والنقد. والعلمُ والنقدُ براء من اختلاقهم. وهذه الشهادة وحدها كافية لاقناع كل ذي بصيرة كما لو اردتَ اثبات دوران الارض فبرهنتَ على ذلك باقرار العلماء اجمعين وعدم وجود عالم يُنكرها في عصرنا (١)

لكن على مَ تستند حجتنا وحجة العلماء في براءة الاناجيل من التحريف ؟

---

(١) ان اعتراضات العلماء الملحدين في ايامنا مدارها على صدق مقال الرسل او حقيقة فهمهم لاقوال المسيح وعجائبه. وهو امر لا علاقة لهُ الان مع موضوعنا. فاننا في هذا الفصل نثبت فقط براءة الكتاب من التحريف وحفظهُ مصونًا كما خطّته يد الكاتب. اما براءة الكتبة الاوّلين من الغشّ والخداع اي انهم لم يُغشّوا في ما رأوا وسمعوا ولم ينشّوا مخبرين بما لم يروا ولم يسمعوا فسننظر فيهِ علميًا في فصلنا الثالث

ان الحجة مؤسسة على التاريخ والنقد العلمي . واحر بهذين المصدرين شاهدَين صادقين لا يُنكر عاقل قدرهما العلمي للاقناع

١ التاريخ

من تصفح تاريخ القرون الاولى للنصرانيَّة وتتبَّعها جيلًا بعد جيل تأكد صدق ما سبق لنا اثباتهُ بايراد النصوص والشهادات القديمة .وهو ان الاناجيل قد انتشرت منذ البدء في كل مكان ونُقلت الى لغـات العالم المتمدّن وانها كانت موضوع الاجلال والاكرام عند المسيحيين اجمعين . وكلا الامرين اي الانتشار والاجلال يجعل تحريف النص الانجيلي مستحيلًا

١ فمن انتشار الاناجيل نتبعنا في فصلنا الاول معتقد الكنائس الرسوليَّة في سورية ولسية ومصر وايطاليـة وغالية (فرنسة) وشمال افريقيَّة الخ ونقلنـا الشهادات العريقة في القدم التي شهد بها الكتبة الرسوليُّون باسمهم وباسم الكنائس الموكولة اليهم عنايتها . فاذا كلها منذ اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني تعرف النصّ الانجيـلي وتعتقد انهُ النص الوحيد الحق والبشارة الصادقة التي اليها المرجع في معرفة سيرة المخلص وتعليمهِ الالهي وتستشهد بآياته واخباره واقواله

فكيف يمكن تحريف كتاب قـد انتشر منذ تاليفهِ وترجم الى كل اللغات وقُرئ عـلانية في المحافل والاجتماعات الدينيَّة ؟ اجل قد يمكن تحريف كتاب قد حفظتهُ جمعيَّة سريَّة في خفايا الزوايا ولم يطَّلع عليهِ الّا انفار معدودون . امّا الكتاب الـذي يعتبره الصغير والكبير دستور معتقدهِ ويقرأهُ او يسمع قراءتهُ صباحَ مساء ويؤمن بأنهُ كلام الله المنزل فتحريفهُ امر ممتنع لا يرضى بهِ ذو بصيرة . اي عاقل يجرأ على تحريف مثل هذا الكتاب وكيف يصنع ؟ ايجمع النسخ المتفرّقة في العالم ليحرفها تحريفاً واحدًا ؟ وان حرَّف نسختهُ فها اننـا نحتج بعدد من غيرها . اينشر تزويرهُ بين ابنـاء بلدتهِ ؟ فنحتج عليهِ بالنسخ التي يقرأها اهل اقليمهِ وشعبهِ وكل شعوب الارض . ايسعى في بثّ سمّهِ بين معاصريهِ ؟ فنحتج عليهِ بالنسخ والترجمات الاقدم عهدًا وبنصوص الآباء القديسين التي لا تُحصى عديدها . ايحرّفها المرطوقي ؟ فها ان الكنيسة واقفة لهُ بالمرصاد تشجب تحريفهُ وتحرم زورهُ ؟ أو تجرأ الكنيسة

الجامعة الكاثوليكية على ذلك فتدخل النصوص المثبتة لاهوت المسيح وتبطل نقيضها ! وكيف يرضى بذلك الهراطقة النافون للاهوت المسيح ولم يعلنوا على رؤوس الملاء كفرها وهم الساعون في اثبات مذهبهم من انجيلنا لا من انجيل اخر . وإلّا لما قبلوا جدالا في آيات انجيلنا ولقالوا: « اتونا بالانجيل الصحيح لنجادلكم فيه اما هذا الانجيل فقد حرفتموهُ وابطلتم منهُ ما شئتم وزدتم عليهِ ما شئتم فلا نرضى بهِ ولا نؤمن » . والتاريخ يثبت انهم لم يدعوا هذا المدّعى ولم ينكروا صحة الانجيل وبراءتهُ من الخلل لكنهم نووا معانيهُ الى ارائهم الفاسدة

وكيف رضي العلماء الوثنيون انفسهم مثل قلسوس و پُرفيريوس فجادلوا النصارى متخذين انجيلنا موضوعاً لجدالهم وهدفاً لسهامهم !

ثم نسأل المعترض اين ومتى وكيف حرّف النصارى انجيلهم . فهل تمّ ذلك بعد انتشارهِ في الشرق والغرب وقد بيّنا ان ذلك غير مستطاع لما وراء الاقدام على مثل هذا من العقبات والمشاكل حتى ان التفكر فيه ضرب من الحماقة وتاني المستحيلات . او قبل انتشارهِ وقد نشرت اسفارهُ تباعاً الاول في فلسطين والثاني في رومية والثالث فيها ايضاً او في فريجية والرابع في افسس . وكيف اتفق الجميع على ذلك وهم مشتتون في كل الاقطار شرقاً وغرباً . وقد دخل المزوّر والالوف من المرتدات في الدين النصراني قبل كتابة الاناجيل وانتشار الانجيل الشفاهي او البشارة بالاله المتجسد في العالم كلهِ (رومية ١٠ : ٨) ومات العدد العديد منهم شهادة لربهم ومخلصهم ولم تكن الاسفار الاربعة قد كُتبت بعد . واذا خان الله احدُهم وكفر بعبادتهِ مزيفاً كلامه عزّ وجل أيرضى الاخر بفعلهِ دون احتجاج ! اذا رضي پوليكرپوس الازميري أيرضى اغناطيوس الانطاكي ! وان رضي اقليمس اللاتيني ايرضى اقليمس الاسكندري ! وان رضي پاپياس الفريجي ايرضى ايريناوس ! وان رضي طرطليانوس ايرضى قبريانوس !

وتُرى لماذا هذا التحريف ؟ ماذا حملهم على ان يدخلوا في الانجيل ما يثبت لاهوت المسيح ! احيًا بالكفر عمداً وهم المتازون بتدينهم ونسكهم وزهدهم بالارضيات وتوقهم الى السويات . اعناداً ! ولِمَ هذا العناد وهم جزاء شهادتهم للمسيح الاله وايمانهم به « ذاقوا الهزؤ والجلد والقيود والسجن ونُشروا وامتحنوا وقُتلوا بحدّ السيف وساحوا في جلود الغنم والمعز وهم معوزون مضايقون مجاهدون » كما اخبر

بولس في رسالته الى العبرانيين (١١ : ٣٦) وقال في رسالته الاولى الى اهل كورنتوس (٤ : ١١) : « الى هذه الساعة نحن نجوع ونعطش ونُعرَّى ونُلطَم ولا قرار لنا ونتعب عاملين بايدينا . نُشتم فنُبارك . نُضطهد فنحتمل . يُشنَّع علينا فنتضرع . قد صرنا كاقذار العالم كاوساخ يستخبثها الجميع » (١ ولمَ ذلك ؟ من اجل الانجيل والمسيح الرب . فسفكوا جميعاً دماءهم الزكيَّة شهادة لدينهم . أمثل هؤلاء يُعزى الكفر والخداع ؟ لا لعمري . ذلك لا يرضى بهِ عاقل يقدّر البراهين العقليَّة والنقليَّة قدرها . فصحَّ اذن قولنا بان تحريف الانجيل لمن الامور المستحيل حدوثها

٢ ﴿ اجلال الكنيسة للانجيل وسهرها على صيانته ﴾ ان اجلال الكنيسة للانجيل الطاهر لامرٌ يعرفهُ القاصي والداني فانها تعتبرهُ وديعة ثمينة سلَّمها الله الى عهدتها ووكل اليها صيانتها . فالانجيل كلام الله المعصوم وانَّ تعليم الكنيسة ودستور حقوقها ومجة شرائعها . بنورهِ تستضيءُ ومن مياههِ ترتوي ومن اسرارهِ تغذي بنيها . على هذه الشريعة يعيش المسيحيّ وفي هذيذها يصبح ويمسي وفي التأمل بايات هذا الكتاب يقضي النسَّاك عمرهم زاهدين قارضين الدنيا قرضاً على منهاج المسيح . لذا نرى البيعة في اول عهدها تؤدي الى الانجيل نفس الاكرام الذي تؤديه الى شخص ابن الله المعبود في القربان المقدس (٢ فكانت تقيم على جناحي المذبح خزانتين مستطرفتين تجعل في احداهما جسد ودم ابن الله المحتجب تحت الاسرار القدسيَّة وفي الاخرى سفر النصوص الانجيليَّة . واذا التأم الرعاة في المجامع رفعوا الانجيل على منصة في صدر المحفل اشعاراً بان المسيح الاله هو المترئس بحضور انجيله والمسجل لما يُقرَّر من الاحكام

ولم يزل هذا الاكرام سنَّة وان اختلفت ظواهرهُ مع الازمنة والامكنة والتقاليد . فاذا تُلي الانجيل في غضون الذبيحة الالهيَّة التي هي محور عبادة المسيحيّ انتصب الحضور وكشفوا عن رؤوسهم واصغوا بكل عواطفهم وطبعوا الصليب

---

١) ان رسالة بولس الاولى الى الكورنثيين اقدم عهداً من انجيل لوقا ويوحنا وربما اقدم من انجيل مرقس ومن ترجمة انجيل متى اليونانية

٢) اطلب توطئة الانجيل الطاهر في طبعتنا اليسوعية

الالهي في ذاكرتهم يرددونهُ في الضيقات والشدائد. وكانت تناضل عن نصهِ الشريف فلا تسمح بتعريضهِ للابتذال في ايدي الشركين وتجزم على ابنائها ايثار الموت على تسليمهِ. وفي اخبار قديسيها ذكر جماعات من المؤمنين سفكوا دماءهم حفظاً لحرمة الانجيل الطاهر. وكانت ساهرة عليهِ خشية ان يدسّ المزوّرون اناجيلهم المختلقة الى مجموعة اناجيلها فيُشتبه بين الحق والكذب والنور والظلمة. فاذا ما تجرأ مخترع فابتدع انجيلاً جديداً ابلتهُ وحكمت بنفاقهِ وبيّنت ميزة اناجيل المسيح الاربعة على اناجيل البدع العديدة. ولما كانت تخشى تسرُّب التحريف والتصحيف الى الاسفار المقدسة حكمت منذ اجيال بالحرم على كل نسخة تنشر بدون اذن الرعاة الشرعيين ومصادقتهم ومراقبتهم. وحتى يكون المسيحي على أمن من تلاوة النص الطاهر خالياً من خلل او غشّ اوجبت على الناشرين للاسفار ان يجعلوا على اول صفحات الكتاب توقيع الاسقف وختمه لتكون هذه الشهادة ضامنة لبراءته من الخلل

على ان مثابرة الكنيسة على صيانة النصوص لم تنحصر فيما ذكرناه لكنها لحقت بحفظ العبارة والالفاظ الكتابية على اصلها خلواً من ادنى تغيير يعرض عليه. تشهد لها بذلك غيرة معلميها على الأدراج او النصوص الخالية من التصحيف الخطي وسعيهم وراء النسخ العريقة في القدم والمقابلة عليها. فمنهم مَن استطى متن الاسفار من مدينة الى مدينة ومن دير الى دير ليعرض نسخته على نسخة جليلة حُفظت ككنز في قلاية او مكتبة. ومنهم مَن قضى العمر في دراستها وجمع القراءات المختلفة لتمييز غثها من سمينها. كفى بامثال اوريجانوس وهيرونيموس عالمين في النقد اللفظي للاسفار الالهية اللذين لم يسبقهما الى كمالهِ في ايامهما احدٌ ولا تزال نتائج ابحاثهما معتبرة لدى العلماء اجلّ الاعتبار. ولما تغلّب البرابرة على التمدن النصراني لجأ علماء الكتاب الى الاديرة والصوامع فاصبح كل دير هامّ مدرسة ومعملاً مما يقضي الرهبان اعمارهم في نقل الاناجيل وغيرها من الاسفار المقدسة. وبعد انجاز الكاتب نسخته بما استطاع من الاتقان والضبط وقبل ان ينشرها بين المؤمنين كان يعرضها على اللجنة العلمية المنتقدة المعينة في كل مجتمع رهباني ذي شأن فيمعنون فيها النظر ويقابلون بينها وبين النسخ الصحيحة ويصلحون ما فرط من قلم الكاتب من التصحيف ثم يوقّع عليها

المصحح اسمه شهادة للبقر. هذا ما نراهُ في ذيل مئات من المخطوطات الكتابية المصونة في المكاتب

ولمَّا تكرم الله على البشر باختراع فنّ الطباعة كان نصّ الاسفار الالهية اوّل ما سعى الساعون بنشره وضبطه وما عتّم ان حكم المجمع التريدنتيني المقدس ان الكنيسة في حاجة الى نصّ رسميّ يعيد فيه العلماء النظر لاصلاح ما قد يكون قد فرط من التصحيف ولو في بعض المفردات فقط. فجاءت ثمرة تقدمهم اللفظي تشهد لهم بصدق السعي وإن لم يستطيعوا عندئذٍ انجازهُ بنوع علمي اكمل كما صنع العلماء في ايامنا. ومن ثم يشهد التاريخ للكنيسة انها لم تغفل عن شيءٍ في ما يتعلق بصحة كتب الوحي وبرائتها من كل تحريف وتصحيف ولم يحدث حادث الّا تنبّهت لهُ ونبّهت الى تسديده

وكانت الامة المسيحية بأسرها تشترك مع رعاتها غيرة ويقظة ومحافظة على نصوص الكتاب غير متسامحة في شيءٍ يفضي الى اثلامها. وحسبنا من ذلك ما رواه اوغسطينوس (١ فيما وقع في عهده وذلك انَّ القديس هيرونيموس حين ترجم الكتاب المقدس ترجمتهُ المشهورة في اللاتينية اقتضت مطابقة الاصل العبراني ان يترجم في سفر يونان (٤: ٦) لفظة קִיקָיוֹן باجروعة Hedera وكان في النسخة اللاتينية المتداولة Cucurbita اي يقطينة. فلمَّا تُلي هذا الموضع انكر الشعب هذه اللفظة اشدّ الانكار وصرّح بذلك في حضرة الاسقف ولم يطمئن حتى كُرّرت تلاوة الآية بحسب النص المألوف

ذلك دليل على تنبه الشعب الى حفظ النصوص المقدسة ونبذه كل ما يبدو مباينًا لحرمة الكتاب ونزاهته. ويقرب من هذه الرواية ما ذكره سوزومانوس المؤرخ (١: ٢) عن خطبة القاها تريفيلوس اسقف لادرة في مجتمع الاساقفة في قبرص نقل فيها كلمة "سرير" في قول المخلّص للمخلّع: قُم احمل سريرك وامضِ (مرقس ٢: ٩) بلفظة σκιμπόδιον بدلًا من κράβαττον ذهابًا الى ان الاولى افصح. فلم يتمالك القديس اسبيريدون ان نهض وقال للخطيب: «الملك اعلم من الانجيلي في اختيار الالفاظ.» وخرج من المحفل لساعته

١) وقد نُقل الخبر في مقدمة الانجيل في مطبعتنا البيروتيّة

هذه ادلة على سهر الكنيسة وغيرتها على صيانة السفر الجليل . فيمكن بعد هذا ان يدعي علينا احد بالتحريف ؟

٢ النقد العلمي

النقد (من نَقَدَ الدراهمَ وغيرها اذا نظر فيها وميّزها ليعرف جيدها من رديئها) يقابلهُ بالافرنسية « critique » ويُراد بهِ النظر في الآثار التاريخيّة للتمييز بين الصادق منها والمختلق ولتثبُّت زمانها وبراءتها من التزييف ولدراسة نصوصها ومواضيعها . وهو علم قديم وان انكر بعض المحدثين قدمهُ تحقيراً لاسلافهم من العلماء المدققين (١ ومهما كان من هذا الامر فان النقد العلمي اللفظي للآثار القديمة قد بلغ في أيامنا مبلغاً غريباً لسعي الكثيرين في سنّ شرائعهِ وتعدّد العلة المجدّين وسهولة الاطّلاع على المخطوطات في المكاتب العامّة والخاصة الى غير ذلك من الوسائط الآئلة الى النجاح . وقد اتاح الله لكتابنا القويم في عصرنا هذا برهاناً لا مثيل لهُ وهو ثمرة النقد العلمي الذي يتباهى بهِ العلماء ويفتخرون . وذلك ان عدداً من المعطلين والملحدين ارادوا ان ينكروا علينا كتابنا الشريف باسم النقد فدرسوا المخطوطات والترجمات والآثار التاريخيّة فجاءت نتيجة الابحاث خلافاً لما كانوا يرجون فكانت خدمة جلّى للدين المسيحي وشهادة علمية لا تنكر على براءة الانجيل من كل تزييف

ويمكننا ان ندعو هذا البرهان برهاناً مادّيا او حسيّاً . فانهُ وان اعرب الناقدون في نقدهم عن بصيرة وذكاء وجدّ تُذكر فيثنى عليها وذلك في تعيينهم لزمن المخطوطات وتنسيقهم لمصادرها وانتسابها الى بعضها وانتقادهم للقراءات واختيارهم لما هو الاصدق اصلاً وعهداً والاقرب صواباً لكنّ نتيجة ابحاثهم لمّا يدركهُ القارئ بالاستقراء الحسيّ ومقابلة النصوص فلا يحتاج في ذلك الى سموّ المعارف وثقابة العقل

(١ دونك مثلاً بين الوف من الامثال يدلّ على اهتمام القدماء بالانتقاد . قال القديس اغسطينوس : ان اول فرض واجب على من يدرس الكتاب المقدس هو ان يجدّ كل الجد ليكون ما بيده من النصوص بريئاً من كل غلط وتصحيف (دين ٣٦ : ٤٦)

(مصادر النقد) اذا ما شاء عالم ان ينشر بالطبع ديواناً لشاعر مغاق مثلاً فلا يكتفي بنسخة حديثة العهد لكنهُ يسعى بجمع ما يُعرف من النسخ القديمة فيزور لذلك المكاتب العامة وينقّب في زوايا الخاصة حتى اذا ما وجد ضالتهُ درس النسخ وقابل بينها فاختار الاقدم عهداً والاصحّ نقلاً واستعان بسواها لضبط الابيات والكلمات. فقد تكون نسختهُ ثمينة نقلت عن المخطوطة الاولى لكن قد يكون الكاتب سها فاهمل بيتاً او قصيدةً برمّتها او لم يحسن القراءة في بعض المواطن او اشتبه عليهِ لحاوَ الاصل من الحركات او النقط او الضوابط الى غير ذلك من اسباب الخطإ. فاذا ما قابل بين القراءتين او الثلاث او العشر انكشفت لهُ الحقيقة. وقد لا تنكشف فيستعين بالادباء الذي جمعوا المجاميع الشعريّة ونقلوا اخبارها عن نسخ ابادها الزمان وينقّب في اسفار الائمة اللغويين الذين كثر استشهادهم بفحول الشعراء ونقلهم لابياتهم ويطرق ابواب الذين علقوا الشروح اللغويّة والمعنويّة على الدواوين وذيّلوها بالحواشي. حتى اذا ما ثبت النصّ الصادق ابرزهُ ظافراً لا يخشى لومة لائم

هذه المبادئ النقدية التي يجري عليها العلماء المستشرقون مثلاً في منشوراتهم العلمية. لكنهم كثيراً ما يسعون عبثاً وراء النسخ فهذا ديوان الاخطل لا يُعرف لهُ الّا اربع نسخ وديوان الخنساء محفوظ في ستّ او سبع نسخ وحماسة البحتري لا تعرف لها الّا نسخة وحيدة الخ. فاين هذا من كتابنا الشريف والآلاف من المخطوطات والترجمات والاستشهادات التي يلجأ اليها الناقد لاثبات النص الحقيقي. تلك وسائط علمية لم ينلها كتاب. علينا الآن ان نبين ما لدينا من المخطوطات والتراجم والاستشهادات في اسفار الآباء الاقدمين لمعرفة حقيقة النص الانجيلي

١ النسخ المخطوطة يمكننا ان نسمي عصرنا عصر الآثار القديمة التي أُخرجت من الزوايا بهمة اصحاب العلم فجمعت في المكاتب فسهلت على الراغبين دراستها

نعرف من نسخ الانجيل الشريف نحوًا من اربعة الاف نسخة يونانيّة منها ١١٢ مكتوبة بالاحرف الكبرى (onciales) و٢٤٢٩ بالاحرف العادية (cursives) ويضاف اليها ١٢٧٣ مجموعة للمنتخبات من العهد الجديد كما كانت تقرأ في

انكتاس على مثال كتب القداس التي يستعملها الشرقيون . واقدم المخطوطات الانجيلية عهداً خمس نسخ يسميها الكتبة شيوخ المخطوطات وهي هذه:

١ النسخة الواتيكانية يرتقي عهدها الى القرن الرابع . ذهب قوم انها احدى الخمسين نسخة التي امر قسطنطين الملك بنقلها على نفقته هدية للكنائس تحت مناظرة العلامة اوسابيوس في نواحي سنة ٣٢٨ للميلاد وهي مصونة في مكتبة الواتيكان

٢ النسخة السينائية وجدها العالم تيشندورف سنة ١٨٥٩ في طور سينا . وهي معاصرة للواتيكانية ومصونة في بطرسبرج

٣ النسخة الاسكندريَّة في لندن . ترتقي الى القرن الخامس اهداها كيرلس لوكاريس الى الملك كارلوس الاول الانكليزي سنة ١٦٢٨

٤ النسخة الملوكيَّة او الافرائيَّة . ترتقي الى القرن الخامس ايضاً وهي من نوع البالمسست (palimpseste حفَّ ثانياً) اي المكتوبة مرتين . كتب اولاً على الرق نص الانجيل ثمَّ حُفَّ فخطَّ عليها مقالات للمار افرام . وقد اعاد العلماء بالمواد الكيماوية صراحة النصّ الاول . محفوظة في باريس

٥ النسخة البيزية وجدها بيزا (Beza) في احد اديرة ليون عند ما نهب البروتستانت المدينة ثم اهداها سنة ١٥٨١ الى مكتبة كمبريدج . وهي باللغتين اليونانية واللاتينيَّة . ترتقي الى القرن السادس

وخلا هذه المخطوطات المدعوَّة بشيوخ النُّسخ يوجد عدد عديد اصغر سنًّا تضرب عنه صفحاً . وقد وجدوا مؤخَّراً في خرائب بلاد الفيوم مقاطيع من الاناجيل . اخصُّها الفصل الاوَّل من متى ثمَّ الفصلان ١ و ٢٠ من يوحنَّا . يرتقي عهد كتابتها الى القرن الثالث

(الكتابة اليونانية القديمة) لا بدَّ هنا من التلميح الى عوائد الكتابة في زمن الرسل . كان جمهور الكتبة يستعملون البردي فيولفون منهُ مدارج ينشرها القارئ للمطالعة (المشرق ٩ : ٨٥١) ولم يستعمل الرقّ الغالي الثمن الَّا الموسرون ومن ثم ذهب العلماء ان اسفار العهد الجديد قد كُتبت اوَّلاً على البردي فبادت لكثرة تداولها وسرعة عطب المادة اذا عرضت للهواء . وقيل انها بقيت محفوظة حتى القرن الثالث . اما الكتابة اليونانيَّة المستعملة في الزمن القديم فكانت على نوعين : نوع كبير يسمونهُ « onciales » يشابه الاحرف الكبيرة (majuscules) في اللغات الغربيَّة يرقمون الكلمات تباعاً بدون فاصل ولا نقطة . (انظر امثالاً للعاديات المنشورة في

المشرق ١٣ : ٧١) ونوع عادي او مستعجل (cursives) يقابل الخط الافرنجي الدارج حيث ترتبط الاحرف بعضها ببعض . وفي كلا الحالتين لم يكن الخط سهل القراءة مميز الكلمات والجمل كما هو في أيامنا . ولا يستغرب ذلك القارئ اذا كان ممن لهُ المام بالخطوط العربيَّة القديمة التي كُتبت سبعة وثمانية وتسعة قرون بعد انجيلنا فانها كثيرًا ما يشكل قراءتها لخلوّها من النقط المميزة ولاشتباه الحروف ببعضها فلا بدّ من اعمال الفكر وتدقيق النظر لحلّ بعض عباراتها

(تنسيق المخطوطات) ان كثرة المواد وتعدادها وتشتتها في عواصم البلاد قد تحول دون دراستها درساً كاملًا . لذا قام العلماء اولًا بجردها وتاليف الفهارس المسهلة على العملة معرفتها وتعيين زمانها وموطنها وخواصها ونقل قراءاتها المتازة . ومن المبرزين في هذا العمل الانكليزيان وستكوت (Westcott) وهورت (Hort) والالماني تيشندورف (Tischendorf) مات هذا ولم ينشر خلاصة ابحاثهِ فطبعها تلميذهُ العالم غريغوري (Gregory) (١٨٨٤—١٨٩٤)

وقام بعدهم هـ . فون سودن (H. F. von Soden) الاستاذ في برلين واستعان بخمسة وعشرين عالماً كرّسوا حياتهم لهذه الغاية بمراقبتهِ ومناظرتهِ فتفرّقوا في المكاتب يعيدون الدرس والنقد كلٌّ في عدد من المخطوطات التي عُيّنت لهُ دراستها . وقدّمت احدى السيدات الالمانيات الغنيات اليز كونيغس (E. Koenigs) « حبًّا بالانجيل والعلم » مبالغ تقوم بما احتاجت اليهِ هذه الرحلات من المصاريف والتكاليف العظيمة . وقد نُشر في هذه السنة المجلد الاول الحاوي في ٢٢٠٣ صفحات قسماً من الدروس المذكورة . وقد سبق هؤلاء علماء عديدون اخرون لا يسمح لنا المكان ان نذكرهم خوفاً من ملل القارئ الاديب

٢ ﴿ الترجمات ﴾ لا تنحصر مصادر النقد للنص الانجيلي بالمخطوطات اليونانيَّة فقط فان للترجمات القديمة شأناً عظيماً لتثبت النص الذي نُقل والحكم بين القراءات المختلفة . وما لا ريب فيهِ هو ان الرسل وخلفاءهم قد بشروا منذ البدء شعوباً واناساً يتكلمون باللغات اللاتينية والسريانيَّة والقبطية او المصرية وإن عرف عدد منهم اللغة اليونانيَّة واسسوا لهم كنائس . فلا شك ان الاناجيل وسائر الاسفار المنزلة قد نقلت منذ تلك الاونة الى لغات البلاد تسهيلًا لفهم مضامينها . ويثبت

التاريخ في القرن الثاني وجود ترجمات لاتينيَّة وسريانيَّة وقبطيَّة للاناجيل الطاهرة. اما الترجمات الارمنيَّة والحبشيَّة والنوطيَّة فلم تُعرف قبل القرن الرابع او الخامس

١ (الترجمة اللاتينيَّة) نُقلت في النصف الاوَّل من القرن الثاني كما تشهد بذلك الآيات العديدة التي يذكرها طرطليانوس وقبريانوس وغيرهما من الكتبة اللاتين. وهذه الترجمة هي التي وصفها اوغسطينوس بقوله انها ثبتت الايمان في الازمنة الاولى. وسمَّاها هيرونيموس الترجمة القديمة. وذهب علماء عصرنا ان الاناجيل نقلت الى اللاتينيَّة في ترجمتين متباينتين احداهما في افريقية وعنها اخذ طرطليانوس وقبريانوس والثانية في غيرها من كنائس الغرب واليها تعزى النصوص المذكورة في اعمال ايريناوس اللاتينيَّة

وقد اعاد في القرن الرابع القديس هيرونيموس النظر في النسخ المتداولة وفي المخطوطات اللاتينيَّة القديمة العهد وقابل بينها وبين الاصل اليوناني واشتهرت منذ تلك الاجيال النسخة التي ضبطها هيرونيموس. وفي القرن السادس عشر سمت الكنيسة الرومانية بنشر نسخة لاتينيَّة رسمية سُميت النسخة المتداولة (Vulgate) وكل مؤخرًا (سنة ١٩٠٧) قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر الى العلماء البندكتيين ان يعيدوا النظر فيها تبعا لنتائج النقد العلمي الحديث كما فعل العالمان وردسورث ووَيت (Wordsworth et White) فنشرا مؤخرًا نصًّا علميًّا للانجيل حسب الترجمة الهيرونيميَّة (١٨٨٩—١٩٠٥) بعد ان قضيا ثلاثين سنة من عمرهما في دراسة المخطوطات واعداد المواد. اما الترجمات القديمة فقد حُفظت في نسختين ترتقيان الى القرن الرابع ونسخة يُشكّ في تاريخها فهي من القرن الرابع او الخامس ونسخ عديدة من القرن السادس. وترجمة هيرونيموس حفظت في مخطوطات كثيرة ترتقي الى عهده

٢ (الترجمة السريانية) للاناجيل الشريفة ثلاث ترجمات سريانيَّة الاولى تسمَّى النسخة الكورتونية باسم الانكليزي كورتون (Cureton) الذي اكتشفها بمصر سنة ١٨٥٨ ترتقي كتابتها الى القرن الرابع او الخامس وترجمتها الى القرن الثالث او الثاني. الثانية هي النسخة السيناوية المجددة الخط (palimpseste) التي وجدتها سنة ١٨٩٢ السيدة لويس Lewis في طورسينا ونشرتها مؤخرًا بالفوتوغرافيَّة

والترجمة ترتقي الى القرن الثاني والنسخة الى القرن الرابع او الخامس . الثالثة هي الترجمة للتداولة الشهيرة المسماة البسيطة . وخلا هذه نعرف القلادة التي جمعها نحو سنة ١٧٢ طاطيانوس من الاناجيل الاربعة وقد نصها السرياني لكنها حفظت في الارمنية والعربية . وهذه الترجمة العربية قد طبعت في رومية سنة يوبيل البابا لاون الثالث عشر الكهنوتي بهمة الكردينال تشياكا (Mgr Ciasca) وفي مكتبتنا الشرقية اوراق قديمة منها (راجع المشرق ٤ : ١٠٥) . ولم يحكم العلماء حتى الآن حكماً فاصلاً في نسبة هذه الترجمات الى بعضها

٣ (الترجمات المصرية الخ) اقدمها عهداً الترجمة التي يسميها العلماء الترجمة الصعيدية المنجزة في القرن الثالث او الثاني ثم الترجمة البحيرية والفيومية الخ . ونضرب صفحاً عن الترجمات الحبشية والقوطية والارمنية المرتقيات الى القرن الرابع والخامس

وبهذه الترجمات القديمة يتضاعف عدد المخطوطات الحافظة لنا نص الانجيل الطاهر حتى يكاد يبلغ سبعة الاف او ثمانية الاف يستطيع العالم المنتقد ان يعود اليها ليثبت معنى الآية الحقيقي ويخلو النص من التزييف والتحريف . ذلك امر لم ينله كتاب فيستطيع ناشره ان يتأكد حقيقة نصه . فان العلماء اذا ما نشروا كتاباً او ديواناً نقلاً عن ثلاث او خمس نسخ او عشر نسخ اعتبروا عملهم جديراً بالاعتبار فلا يجرأ احد ان يدّعي عليهم التحريف . فما قولك بكتاب قوبل على سبعة او ثمانية الاف نسخة

٣ هو اباء الكنيسة ؛ وليس هذه المصادر الوحيدة لنقد النص الانجيلي واستقراء حقيقته . فلدينا شروح الاباء والكتبة المسيحيين على الانجيل وعظاتهم ومياسرهم ومؤلفاتهم الدينية وهي تربو في الخمسة القرون الاولى على الثلاثمائة او الاربعمائة مجلّد ضخم . ولا نذكر الليتورجيات الجليلة وقصص الشهداء الصادقة والايات المحفورة على النواقيس والآثار العتيقة وغيرها من وسائط النقد العلمي . فان مدار كثير من هذه المؤلفات شرح النصوص الانجيلية تباعاً آية آية وكلمة كلمة . وليست ميامر الاقدمين الّا تفسير الفصل الانجيلي الذي يتلى على مسامع الشعب في حفلة ذاك اليوم مع الحث على الفوائد الاعتقادية والادبية المستخلصة من تعليمه . ومن

ثم فان استشهاد الكاتب بآية يضاهي شهادة نسخة خطية معاصرة لذاك الكاتب مع التصريح بما اعتقدهُ في معناها

هذا مصدر جليل للنقد اللفظي والمعنوي لا تنكر خطارتهُ لاسيما اذا كانت الايات قد نُقلت وشُرحت لا مرة ولا مرتين تكن الوفاً من المرات في الشرق والغرب بلفظها ومعناها الواحد بدون اختلاف ولا تباين ولا تضادّ . ايكون دليل اثبت من هذا للاطّلاع على صحتها ومقابلتها مع ما بيدنا لترى حظها من الصدق او التحريف ؟

وقد سعى العلماء في جمع هذه النصوص . فألّف ساباتيه البندكتي في القرن الثامن عشر ثلاثة مجلّدات ضخمة دعاها الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس نقلاً عن الآباء الاقدمين في القرون الاولى . ونشر علماء اكسفورد سنة ١٩٠٥ كتاباً جليلاً عنوانهُ « العهد الجديد في الآباء الرسوليين » ونشر غيرهم ابحاثاً خاصة في هذا الشأن موضوعها العهد الجديد في تآليف الاباء مثل العالم بوسّه (Bousset) في ايات العهد الجديد المذكورة في اسفار القديس يستينوس . ورنش (Roensch) درسها في طرطليانوس . وبرنارد (Barnard) في اقليمس الاسكندري . وهرتش (Hautsch) في اوريجانوس الخ . وتكفي نعطي مثلاً واحداً فقد احصى العلامة ده لاغرد (de Lagarde) في كتب مار اوغسطينوس ٢٩٥٤٠ آية منقولة من العهد الجديد

فهذه مصادر عديدة وصادقة ومعتبرة لا ينكر عاقل خطارتها وعظم قدرها قد دُرست درساً علمياً انتقادياً محضاً لا من النصارى والكاثوليك فقط لكن من الملحدين انفسهم . فما كانت النتيجة ؟

نتائج النقد العلمي هذا ملخص النتائج الانتقادية في يومنا هذا :

١ ان الاناجيل بريئة من كل تزييف او تحريف معنوي تنقص حرمتها التاريخية اجمالاً في سائر اقسامها فلا يمكن القاء الشك على حفظها مصونة منذ كُتبت الى يومنا

٢ لا يجوز للعالم ان يبطل باسم النقد لا فصلاً من الاناجيل ولا حقيقة دينية ولا تعليماً ادبياً

٣ لم تمسّ يدٌ اثيمة الاناجيل لتحريف الايات الصعبة بالزيادة او النقصان

فان النصوص التي اعتاد الكفرة والمراطقة الاستشهاد بها لانكار بعض العقائد المسيحية كاية يوحنا (١٤ : ٢٨) مثلاً تراها منقولة بالحرف الواحد بلا خلاف

٤ تحتوي الاناجيل على نحو من اربعة الاف آية . فقد اثبت الآن العلماء الناقدون ٥٩ من ٦٠ جزءاً منها كما جاء في المنشورات الاخيرة . قال العالمان وستكوت وهورت : اذا نظرنا الى الايات الهامة فلا نرى الا اثنتي عشرة اية فقط تجد بين المصادر اختلافاً معنوياً في نصها فلم نستطع حتى الان البتّ في شأنها . ولنا امل ان متابعة الدروس النقدية تكشف القناع عنها

٥ تقابل المخطوطات والترجمات في نقل النصوص الآتية او ابطالها : مرقس (١٦ : ٩—٢٠) وهو ختام الانجيل . ويوحنا (٨ : ١—١١) في غفران المسيح للمرأة الزانية ولوقا (٢٢ : ٤٣) في عرق الدم وظهور الملاك للمسيح المنازع في بستان الزيتون الخ . وهذه اخصّ الآيات الهمة والمجادل في نقدها . تجدها كلها في عدد عديد من النسخ القديمة والترجمات الموثوق بها لكنها خلت من غيرها لاسباب نجهلها . خذ مثلاً ختام مرقس (١٦ : ٩—٢٠) تجده في اكثر النسخ اليونانيّة القديمة وفي كل النسخ والترجمات اللاتينيّة والسريانيّة والقبطية . ومع ذلك لم ينقل في النسختين الجليلتين الواتيكانية والسيناوية متزك الكاتب هناك عموداً ابيض . ذهب قوم من المدققين ان النسخة الكريمة التي خلفها الانجيلي المختار قد فسدت منها صفحة البردي الاخيرة الملتفّة على المدرج فكلّ من نقل عن النصّ الاصلي قبل تمزيق هذه الورقة الاخيرة حفظ الايات الاحدى عشرة ومَن نقل بُعيد ذلك ترك النصّ مبتوراً فاختلفت من جرّاء ذلك النسخ القديمة وقد لاحظ ذلك اوسابيوس في النسخ التي طالعها . فكأن كاتب النسختين الواتيكانية والسيناوية قد ترك المحلّ المعدّ لهذه الايات الاحدى عشرة ليستشير الوكيل الناظر على النقل . اما سرّ اختلاف النسخ في الايات الاخرى فلا يزال مجهولاً . على اننا ندافع عن هذه الايات باجمعها ولا نشك في حقيقتها المنزلة وحقيقتها العلمية ونثق كل الثقة بنتائج الابحاث المستقبلة في شأنها . فقد سبق فالقى العلماء منذ ربع قرن الشك على عدد من الآيات وزعموا انها جزء من ثمانية اجزاء الاناجيل ولكنّ ترقي النقد لم يُبقِ ريباً فيها وسوف لا يمضي ربع قرن اخر الّا ويسلمون لنا ببراءة كل ايات الانجيل من كل تحريف وريب . ولا بدّ من تكرار

تنبيهنا السابق الى كون بحثنا هذا بحثاً تاريخياً علمياً محضاً بمعزل عن حكم الكنيسة المعصومة في وحي الاسفار الالهيـة وبراءتها من غش وتحريف . وان الايات التي لم يثبتها النقد العلمي حتى يومنا هذا لا تحتوي تعليماً اعتقادياً او ادبياً لا نجده في مواطن اخرى من الاسفار المنزلة حتى يستطيع المعاند ان ينسب التحريف الى اسفارنا الالهية

٦ واخيراً ليست الان غاية علماء النقد ان يثبتوا براءة الاناجيـل عن كل تحريف معنوي فان ذلـك قد ثبت واقرّ به الجميع لكنهم يبحثون وراء نص الاناجيل اللفظي والاملائي كما خطّته ايدي الانجيليين المختارين وهم آملون البلوغ الى المرام وما يكتشفونهُ كل يوم يؤكد هذه الآمال فان البردي المكتشف حديثاً في انحاء الفيوم والمكتوب في القرن الثالث يتّفق معنًى ولفظاً واملاء مع النسخـة الواتيكانيّة . لكن لسوء الحظ لم يقرأ فيه الّا الفصل الاول من انجيل متى وفصلين من يوحنا وقد بليت الفصول التابعة

﴿ الخاتمة ﴾ اذاً يثبت التاريخ والنقد واقرار العلماء المدققين من مؤمنين وملحدين ان الانجيل الشريف بريء من كل تزييف وتحريف وان ما قد طرأ على بعض نسخه من التصحيف اللفظي من جرّاء النقل يمكن اصلاحه علمياً وقد أصلح قسمٌ هامٌ منهُ بمقابلة النسخ والترجمات وتآليف الاباء . فلا يجوز لعاقل ان يدّعي علينا التحريف بل يضطرهُ البرهان العلمي ان يقرّ ان الانجيل هو بريء من كل شائبة . وقد بقي علينا ان ننظر في صدق الكتبة الانجيليين فوعدنا في عدد آخر ان شاء الله

(لها بقية)